واشتهر من كفرزه ساويرا رئيس دير قرتمين هامه هذا صهداما وصبومنا ومنامحمح ولهُ تذكار في ٢١ كانون الثاني

وغادرنا كفرزه الى قرية دبّانه (بُحُدْل) وهي في وادٍ عميق واهلها مسلمون باجمعهم وداخلها آثار دور شتى وصخور منقورة . ثم اخذنا في المسير الى دير العمر او دير قرتمين فبتنا فيه ليلتنا (الختام للآتي)

النصرانية بين قدماء الاتراك والمغول

بحث تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي

غنيٌّ عن البيان انَّ الاتراك في عهدنا يدينون بالاسلام الّا بعض قبائلهم البادية في اطراف تركستان وفي جهات تبّت وحدود الصين التي يغلب عليها دين البوذيين على انَّ النصرانيَّة لم تحجب عنهم انوارهـا في الاجيال السالفة بل اضاءت كثيرين منهم بنجاسها ولنا على ذلك ادلّة عديدة جمعناها من اصدق الموارد الشرقيَّة والغربيَّة كما سترى . وقد جاءت تترى الاكتشافات الحديثة في تركستان مؤيدةً لهذا الواقع التاريخي الذي لم يَعُد يمكن انكارهُ . ولا نشكّ في انَّ قرّاءنا يسرُّون لاثباتنا هذه الحقيقة

*

تُركستان اي مواطن الاتراك الاصليَّة وتُعرف غالباً بتوران وما وراء النهر بلاد واسعة ومفاوز حقّة تمتدّ بين بحر الخزر المعروف ببحر قزوين غرباً وتخوم الصين شرقاً وتحدُّها شمالاً روسيَّة التي تحكم اليوم على قسم منها وجنوباً ممالك الهند وايران فتنيف مساحتها على خمسة ملايين كيلومتر مربع وتضاهي وحدها نصف قارة اوربا غير انَّ سكّانهـا لا يتجاوزون اليوم خمسة الى ستَّة ملايين فيكون عددهم كعدد مدينة لندن فقط . والميـاه في تلك الصحاري قليلة ايضاً لا يجري فيها غير نهرين كبيرين اصلهما في مشارق جبال پامير احدهما نهر جيحون الشهير باوكسس (Oxus) الذي ينصبّ في بحر قزوين والآخر نهر (Jaraxès) سيحون الذي يقطع ناحتي

خوكند وخوجند ويصبّ في بحر ارال في اواسط تلك البلاد . وهناك انهار اخرى صغيرة وبحيرات يجد الاهلون في قربها مراعي لمواشيهم . والغالب عليهم رعية الغنم وتربية الخيل . وكان اكثرهم من اهل البادية يتنقّلون في تلك الصحاري ويسكنون القربات ينصبون عليها خياماً من اللبد شبه البيوت . ومنهم من تحضّر فسكنوا المدن كبلخ وسمرقند وبخارى وفرغانة وكاشغر وقراقُوم

اما سكّان تلك الاصقاع فيرتقي اصلهم الى قبائل كانت تسكن في اعالي جبال ألطاي التي يدعوها الترك الطون داغ اي جبال الذهب لكثرة معادنها وهذه الجبال هي الفاصلة بين سيبريا وبلاد المغول والصين . ثمّ نزلوا الى الصحاري كالسيول الجارفة واستولوا عليها وتشعّبوا شعباً قبائل وعشائر وفخوذاً وقبائل واعماً لا يكاد يُحصى عددها . وكلُّهم يُحسبون من النسل المغولي وان اختلط بهم بعض المنتمين الى النسل القوقازيّ ايضاً . ولغات هذه القبائل مع كثرتها تعود الى اصل واحد وهو التركيّ القديم ومنهُ الحديث . على انّ هذه اللغة لم تدوّن بأحرف خاصّة بل كُتبت بحروف مستعارة من عدّة لغات وقد وجدوا كتابات تركيّة مكتوبة باليونانيّة واللاتينيّة والسريانيّة والرونيّة (le runnique) ثمّ كُتبت بالحروف العربيّة والحروف الارمنيّة . وقد غلب على بعض القبائل ولا سيّما الاويغور كتابة لغتهم بحرف خصوصي نقلوهُ عن الكلدانيّة وعُرف بالحرف الاينوريّ وهو يُكتب عمودياً من الشمال الى اليمين (راجع الشكل)

وكما تتشابه تلك الطوائف بلغاتها كذلك تتقارب بعناصرها مع تعدُّد اسمائها . فانّ قدماء الكتبة قد اطلقوا عليها اسماء متباينة كالاسقيثيين (Scythes) والهونة (Huns) ثم شاع اسم الترك والتركمان والمغول والتتار

والمجموع عليه بين المحدثين انّ اصل هذه الامم من العنصر اليافثي فهم من حيث الجدّ البعيد اخوة الشعوب الاوربيّة . ولا يخالفهم في قولهم الكتبة الشرقيّون بل يجعلون للترك القدميّة على المغول والتتار وسواهم . فيقولون انّ تُركاً هو اكبر اولاد يافث وانّ من نسلهِ ولد اخوان هما تتر ومغول ثمّ خلّفا الاولاد واولد هؤلاء غيرهم حتى بلغ زعماء قبائلهم ٢٤ قبيلة سكنوا انحاء توران الى تخوم تبّت والصين واشتهروا باقدامهم وفراستهم يرون في الحروب غاية لذّتهم وكثيراً ما زحفوا على

الاصقاع المجاورة لهم فغزوها واكتسحوا غنائمها. وربّما استولوا على البلاد فجعلوها تحت حوزتهم كما فعلوا غير مرّة بالصين وتبّت. واوّل من ذكر الاتراك كتبة الصين دعوهم اوّل باسم « هونونيس » وهم الهونة ثمّ سمّوهم « توكيو » وهو اسم الترك بالصينيّة وليس فيها حرف راء. وقد عرفهم في القرن الخامس قبل المسيح المؤرخ هيرودوتس باسمهم (Τούρκοι)

ثمّ توالت الدهور وتتابعت الاجيال حتى ضعفت الدولة الرومانيّة فشعرت القبائل المغوليّة بحوزها فتقدّمت طوائف منها وهم الهونة فكانوا لنواحي اوربّة كالطوفان العرمرمي فنهبوا وسلبوا واحرقوا ودمّروا حتى ظنّ الناس بقيامة الساعة. وكانوا يدعون ملكهم باسم الخاقان ثمّ اختصروهُ بالخان ثمّ دعوا الخان الاكبر قان. ثمّ انكفأوا راجعين الى بلادهم ووضع العرب حدوداً لمرّتهم حتى أنسوا من بني العبّاس ضعفاً فعادوا واستولوا على بلاد الاسلام واتّخذوا لهم دولاً مستقلة وكرّ اخلافهم على تلك الدول الاسلاميّة ثانيةً وهجم غيرهم على الممالك الواقعة شرقيّ اوربّة فطحنوها طحناً تحت سنابك خيلهم في عهد جنكزخان ثمّ تيمورلنك. واستأنفوا زحفاتهم في عهد بني عثمان فدمّروا سيطرتهم على اغنى البلاد بمرافقها وضروب غلّاتها

*

هذا نظر اجمالي قدّمناهُ قبل الخوض في موضوع كلامنا يريد النصرانيّة بين طوائف الاتراك

كان الدين الغالب على طوائف الاتراك في سالف الاجيال الدين المعروف بالشّمنيّة او الشّمنيّة (Schamanisme) وهو مبنيٌّ على اكرام قوّات الطبيعة وعناصرها الاربعة على زعمهم اي النار والهواء والماء والارض. وكانوا يعبدون الارواح ويقدّمون لها التقادم والذبائح وكذلك نفوس الاجداد يكرمونها ويتخذون التماثيل لعبادتها. وقد ذكر المسعوديّ في مروج الذهب (طبعة باريس ١ : ٢٩٨ وطبعة مصر ١ : ٥٨) هذا الدين الذي شاع ايضاً في الصين فقال عن الترك :

ودينهم دين من سلف وهي ملّة تُدعى الشّمنيّة عاداتها غرضٌ من عبادات تُربش قبل الاسلام يعبدون الاصنام ويتوجّهون نحوها بالصلوات ومنهم من يقصد بصلاتهِ الخالق عزّ وجلّ ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة. والجاهل منهم ومن لا علم لهُ يشرك الاصنام بالهيّة الخالق

ويعتقدها جميعاً وان عبادتهم الى الاصنام تقرّبهم الى الله زلفى وانّ منزلتهم في العبادة تنقص عن عبادة الباري بجلالته وعظمته وسلطانه وانّ عبادتهم لهذه الاصنام طاعة لهُ ووسيلة لهم اليهِ

ثم انتشرت بينهم النحلة البوذيّة التي قدم اصحابهـا من الهند فاشاعوها في الصين والبلاد المجاورة ودانت بها بعض القبائل التركيّة

وكذلك ظهرت هنـاك الشيعة المانويّة في القرن الرابع للميلاد فقال قوم من الاتراك بمذهب مانيّ المعروف بالثانويّة اي بمبدأين او الهين اله خير واله شرّ. وقد وجد السيّاح المحدثون في هذه المدّات الاخيرة آثارًا من كل هـذه الاديان في تركستان فانهم اكتشفوا فيها على كتابات عديدة مكتوبة على الجلود والانسجة وقشور الشجر يبلغ عددها الالوف المؤلفة. وكذلك وقفوا على كتابات منقوشة على الحجارة وعلى القبور بلغات شتّى

فاكان للنصرانيّة وهي معروفة بغيرة ذويها وأمر منشئها الالهي لهم بان يتلمذوا كل الامم ان تسهو عن دعوة طوائف الاتراك الى دينها. وفي شواهد الآباء الاوّلين والكتبة الكنسيين الاقدمين ما يدلّ على ان رسل المسيح او تبعتهم بشّروا بالانجيل في تركستان. فمنهم القديس يوستينوس النابلسي شهيد القرن الثاني للمسيح في كتاب ردّهِ على اليهوديّ تريفون (مجموع الآباء لمين Migne P. G., VI. 748) قال : « ليس في المصور جنسٌ واحد يونانيّ او بربريّ او اي اسم آخر شئتَ ان تدعوه بهِ حتى الساكنين العربات من الاسقيثيين (Ἀμαξοβίων) واهل البوادي والخيم الذين يرعون المواشي الّا وتُحنى فيهم الرُكب لاسم يسوع المصلوب وتُرفع بهِ الادعية الى الازليّ وخالق الكلّ »

وفي هذا القول اشارة واضحة الى ساكني تركستان يؤيدها التقليد المتواصل الذي ينسب الى الرسل توما وبرثلماوس وتدّاوس والى تبعتهم من السبعين ادي وماري واجيّ دعوة تلك البلاد الى النصرانيّة وقد دعاهـا بعضهم بلاد ياجوج وماجوج. قـال ايليّا الدمشقي في تاريخهِ : « وكان الداعي والمنصّر والمتلمذ والمدبّر بالسند والهند وما والاها من المشرق الى البحر الاخضر من الحورايين توما السليح احد الاثني عشر ». وكذلك صرّح القديس صفرونيوس بانّ الرسول توما بشّر الهرقانيّين والبكتريين والعجم والمراغيين. وقال عمرو بن متّى في كتابهِ المجدل عن

القديس برتلماوس: « نثنايل وهو برثلمي تلمذ مع توما ولّبي من الاثني عشر ومع ادّي وماري واجّي من السبعين . . . النبط والاهواز وفارس ثمّ صار الى ارمنية الكبرى وتلمذ اهلها . . . وصار الى الهند والصين الداخلة ». وقال الياس الدمشقي عن اجّي تلميذ ادّي: « وكان الداعي والمنضر والمتلمذ والمدبّر بارض الجبل وفارس والاهواز الى تخوم السند وياجوج وماجوج اجّي تلميذ ادّي » ومثلهُ ماري بن سليمان في اخبار بطاركة كرسيّ المشرق: « واجّي السليح بعد عود ادّي الى الرها مضى الى الجبل والاهواز وتخوم السند وما قرب آجوج وماجوج وسبقهم الى هذه الاقوال كتبة السريان كالياً النصيبيني وغريغوريوس ابن العبريّ في تاريخهِ المدنيّ السرياني وتاريخهِ الكنسيّ وهم يردّدون عن نصرانيّتهم ما ورد في كتبهم القديمة (٢

ومن صرّحوا بتبشير الايمان فيا وراء النهر الى الصين الكاتب اللاتيني اوتوبيوس قبل عهد قسطنطين فقال في كتابهِ الثاني من الدفاع عن النصرانيّة الفصل الثاني عشر (١: « ليس في الارض امّة واحدة مهما كانت متمنّعة في الهمجيّة الّا نالت من فضل الايمان المسيحي فلطّفت طباعها وراضت اخلاقها بالتقى. فكيف يمكننا ان نعدّد ما جرى على يد دعاة النصرانيّة في الهند والصين والفرس وماداي وفي العربيّة وفي مصر وآسيا الصغرى والشام وبين الغلاطيين والفرثيين وقبائل الطونة التي جحدت اديانها لتنضوي تحت سُنن المسيح ». وكذلك عدّ اوسابيوس القيصري بين الامم المتنصّرة « الفرس والارمن والكلدان والاسقيثيين والهنود » (في كتابهِ الثالث عن البيان الانجيلي). وفي القرن الرابع للمسيح يشهد على تنصُّر امم تركستان القديس يوحنّا فم الذهب في كتابهِ المنّون بالردّ على اليهود (ك ١ ص ٦٩٢ من طبعة غوم Gaume) فذكر بين الامم المتنصّرة « الإسقيثيين والمغاربة والهنود » وفي تفسيرهِ على يوحنّا الميمر الثاني عدّد « الهنود والعجم والحبشة » وفي عهدهِ كتب تاودوريتوس فذكر في ردّهِ على اليونان (Théodoret, *Migne*, P. G. vol.,83 col. 1037) من المتنصّرين « قبائل الاسماعيليين وقبائل البرابرة كاللاز (Lazi) والاسقيثيين والهند والحبشة

١) راجع المكتبة الشرقيّة للسمعاني (Assemani : *De Syris Monophysitis*, I - XX)

٢) اطلب بجموع الآباء لمين (Migne P. L. V, 827-828)

والفرس والصينيين والهرقانيين والبكترانيين (Hyrcanos et Bactrianos) ٥. ومنهم قزما السائح الهندي (Cosmas Indicopleustes, *Migne*, vol. 88, col. 170) ذكر بين الذين تحقّق نصرانيّتهم في سياحته سنة ٥٤٧ للمسيح ٥ اهل سرنديب (سيلان) وجزيرة سقطرى ٥. ثمّ قال: ٥ انهُ يوجد عددٌ لا يحصى من الكنائس بين البكتريين والهونة (Bactros et Hunnos) والفرس والارمن والماديين والعيلاميين. وهناك اساقفة وارباب اكليروس ومؤمنون ورهبان ٥. فترى انّ كل هذه الشواهد من كتبة معاصرين في الغالب لما رووهُ تثبت دعوة المبشرين بالمسيح في البلاد التي يسكنها المغول والاتراك وليس اسم الهونة والبكتريين والهرقانيين والاستيثيين والماغيين الّا اجيالًا من التتار عرّفهم الكتبة بالبلاد التي كانوا يسكنونها وقتئذٍ وهي الموافقة لتركستان

ويؤيد ذلك ما رواهُ ابن العبري في تاريخ مختصر الدول حيث قال بعد روايته لتنصُّر قسطنطين (ص ١٣٥):

ولم يزل دين النصرانيّة يظهر ويقوى الى ان دخل اكثر الامم المجاورة للروم من الجلالقة والصقالبة وبرجان والروس واللان والارمن والكرج... وجمهور اصناف السودان من الحبشة والنوبة وسواهم. وآمن بعد هولاء اصناف من الترك ايضاً

وفي هذا القرن الرابع جعل احد الكتبة المحققين دخول النصرانيّة بين الطوائف التركيّة (١ وجاء في سيرة جاثليق النساطرة مارابا (٥٤٠ — ٥٥٢ م) انّ خان الهونة البيض وهم جيل من الاتراك (Turcs Ephtalites) وكانوا يسكنون في بكتريانة ارسل الى جاثليق الكلدان مارابا المذكور يطلب منهُ بان يُرسل لهُ اسقفاً ينصّر القبائل التي كانت تحت امره ففعل وانشأ كرسيَّين اسقفيَّين في هراة وسمرقند (٢

وممّن سعى بتوثيق عُرى العلاقات بين النصارى والاتراك احد مشاهير بطاركة الكلدان النساطرة في اواخر القرن الثامن واوائل التاسع نزيد بهِ طيموثاوس المعروف بالكبير (٧٧٨ — ٨٢٣) ففي احدى رسائله التي تاريخها سنة ٧٩٢ يذكر ٥ انّ امّة

---

١) راجع L. Cahun : *Introd. à l'Hist. de l'Asie, Turcs et Mongols* p. 123

٢) راجع ترجمة مارابا ص ٢٦٤ وكتاب المسيو لابور Labourt : *Le Christianisme et L'Empire Perse* p. 189

الاتراك تنصَّرت على يد اساقفة ارسلهم اليها ٠٠وجاء في كتاب الرؤساء لتوما المرجي (ص ٢٥٢ — ٢٦٣ ed. Budge) انَّ شوبحاليشوع مطران جيلان والديلم ذهب بامر طيموتاوس الكبير الى جهات المرقانيين والاتراك فنصَّر كثيرين وشيَّد الكنائس وانَّهُ تقدَّم الى جهات الخطا (Cathay) فردَّ الى الايمان جماهير من المشركين والثانويين واذ عاد راجعاً الى بابل اغتالهُ اعداء النصرانيَّة فقتلوهُ. وما لبث ان تبعهُ في كرازته بين الاتراك أخوان هما يبالاها وكرداغ سقَّفهما طيموتاوس وارسلهما مع ١٥ راهباً من دير بيت آبا سقَّف ايضاً منهم سبعة فذهبوا للكرازة في بلاد الخطا والصين كما روى توما المرغي (ص ٢٦٤ — ٢٧٠) ثم ذكر بعدهم اليَّا اسقف موقان الذي بشَّر في تلك البلاد عينها وشيَّد الكنائس (المرغي ٢٧٨ — ٢٨٢). وفي تاريخ بطاركة المشرق لماري بن سليمان « انَّ طيموتاوس دعا خاقان ملك الترك الى الامانة وغيرهُ من الملوك ووردت عليهِ كتبهم وتلمذ خلقاً ». ومذ ذاك الحين ترى للنساطرة عدَّة كراسيّ مطارنة في بلاد الترك وما جاورها عدَّدها عمرو بن متَّى في تاريخهِ المعروف بالمجدل (ص ١٢٦) « كمطران مرو ومطران الصين ومطران الهند ومطران بوذع (كذا. يريد برذعة في اقصى اذربيجان) ومطران طبرستان ومطران الديلم ومطران سمرقند ومطران تركستان ومطران سجستان ومطران خمان بالق والقالق ومطران تنكت ومطران كاشغر وتواكث » (قال) « وكل واحد من هؤلاء المطارنة لهُ اساقفة فمنهم من لهُ اثنا عشر اسقفاً ومنهم من لهُ ستة »

فكفى بتعداد هذه الكراسي دليلاً على نفوذ النصرانيَّة في بلاد الترك باطنها وخارجها في اوائل القرون الوسطى ولولا توفُّر المتنصِّرين في تلك الانحاء لما اقاموا هذا العدد الوافر من الكراسيّ المطرانيَّة والاسقفيَّة التي يدلّ بعضها على اقصى بلاد الاتراك وامَّهاتها كتنكت وكاشغر فضلاً عن اسم تركستان العامّ ——

وفي اوائل القرن التاسع للميلاد ابتدأت حركة الاتراك في الدولة العبَّاسيَّة فتزلَّف قوم منهم الى الخلفاء وتجنَّدوا لخدمتهم ثمَّ لم يزل امرهم يتفاقم في عهد المتوكل والمنتصر والمستعين حتَّى استولوا على الدولة وصار الحلّ والعقد في يدهم ولم يدعوا للخلفاء سوى السلطة الدينيَّة ومنهم خرج بعض المماليك الذين انشأوا دولاً مستقلَّة

(1) (2) (3) (4)

ا	ي	ف	ع	و	ه	س	ك	ن	م	ن
آ	يا	فا	وا	سا	قا	يا	كا	دا	ما	نا
â ou é	bâ	qâ	ouâ	sâ	qâ	yâ	ka	dâ	mâ	nâ

(5) (6)

ي	ج	ر	ش	ا	ل	م	ف	ت	ق	ك
bâ	djâ	râ	châ	tâ	lâ	châ	qâ	to	mâ	kê

صورة الحروف المغولية عن كتاب تاريخ تيمورلنك

لابن عربشاه من مخطوطات باريس

(NOTICES ET EXTRAITS DES MANUSCRITS DE LA BIBLIOTHÈQUE NATIONALE, V, 588)

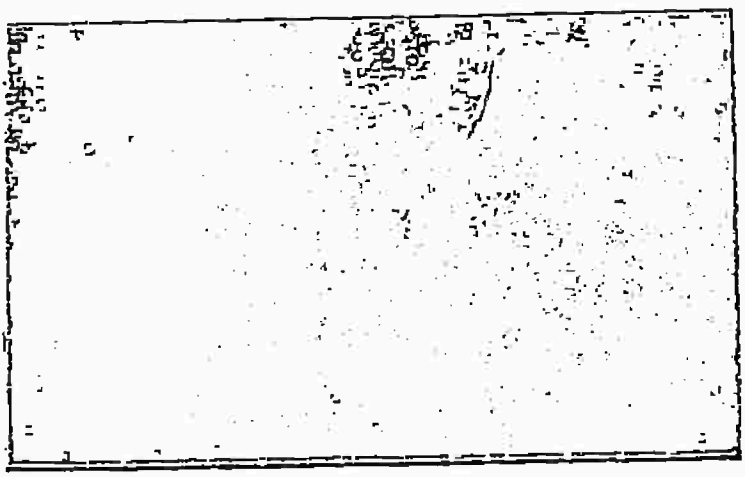

تركيان من قبيلتي كغيز وسرلي في تركستان

كبني طولون في مصر وبني سلجوق على انّ هؤلاء الاتراك اسلموا رغبةً في تنفيذ امورهم وضبط اعنّة التدبير في يدهم

واما الاتراك الذين لم يبرحوا عن بلادهم فانّ الدين النصرانيّ زاد انتشارهُ بينهم. وكان دعاة النصرانيّة يتواردون الى مواطنهم بل ربّما تطعوها حتى بلغوا حدود الصين. ولنا على ذلك شاهد جليل في كتابة «سي نغا نغو» الشهيرة المكتوبة بالصينيّة والسريانيّة سنة ٧٨١ للمسيح وفيها تاريخ ورود الناطرة الى تلك البلاد منذ سنة ٦٣٥ و نشرهم الدين النصرانيّ في انحائها على عهد دولة تانغ التي استولت على بلاد تركستان وجهات المغول (راجع المشرق ٣ : ٨١٥ — ٨٥٣) فكان اكام الصينيين للمرسلين المسيحيين منشطاً للتراك كي ينتظموا ايضاً في سلك المتنصرين

ومن القبائل التركيّة التي تنصّرت في تلك المدّة قبيلة الايغور او الاويغور (Ouigours) او (Oïgours) فهذه كانت من القبائل البادية تسكن قريباً من جبال قراقرم جنوبيّ سمرقند ومنها كان بوكخان الذي خرج على الصين وانشأ فيها دولةً تُعرف بالأويغوريّة التي ملكت مئة سنة (٧٤٥—٨٤٧م) ثم غلبها الصينيّون وبقيت لها الامارة في جبال قراقرم وتنصّر اهلها على يد الدُعاة الناطرة وعنهم اخذوا كتابتهم الاويغوريّة المشتقة من الكلدانيّة وعدلوا عن رعية المواشي الى فلاحة الارض فخصبت بلادهم واشتهروا بين الاتراك بعمرانهم وتمدّنهم

ومن قبائل الترك التي اقتدت بآثار الايغور قبيلة الجنتاي وتدعى بالخطاي لاجل سكناها في الخطا من اقاليم الصين الشماليّة وهذه ايضاً اخذت القلم الاويغوري الذي دُعي بالجنتاي. قال ابن عربشاه في عجائب المقدور في اخبار تيمور (ج ٢ : ١١٤ — ١١٥ Ed. Manger) :

اما الجنتاي فلهم قلم يسمّى اربغور، وهو بالقلم المغولي مشهور، وبهذا الخط يكتبون توقيعهم وبراءتهم، ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخاتيمهم، وتواريخهم واشعارهم، وقصصهم واخبارهم وسجلّاتهم واسفارهم (ويروى واسمارهم) وجميع ما يتعلّق بالامور الديوانيّة، والتور جنكيزخانيّة، لا يرون بنهم لأنهُ مفتاح الرزق عندهم »

وفي اوائل القرن الحادي عشر للميلاد تنصّرت قبيلة اخرى تدعى قبيلة الكريت (Kéraïtes) وذلك في عهد جاثليق الناطرة يوانيس (١٠٠١ — ١٠١٢ م)

وكان سبب تنصّرهم ما رواهُ ابن العبري في تاريخهِ الكنسيّ (٢ : ٢٨٠ éd. Lamy) عن عبد يشوع مطران مرو الذي جرى الامر في زمانهِ. قال: « خرج ملك الكريت الى الصيد في تلك الجبال فضلّ الطريق واصبح على وشك الهلاك اذ ترآى لهُ الشهيد القديس سرجيوس وانقذهُ من الخطر وامرهُ بالتنصّر فلمّا عاد الى مدينتهِ دعا اليهِ تجاراً نصارى كانوا يتردّدون بين اهل رعيّتهِ واستخبرهم عن الدين النصرانيّ فأشاروا اليهِ ان يستقدم مطران مرو ليشرح لهُ عقائد الايمان ففعل ثمّ اعتمد هو وشعبهُ في عدد مائتي ألف (١ وارسل الجاثليق كاهناً وشمّاساً ليساعدا عبد يشوع في خدمة المتنصّرين وسمح لهم في مدّة الصوم الكبير بشرب حليب الخيل لقلة المآكل هناك »

وبقيت النصرانيّة في هذه القبيلة زمناً طويلاً وكان ملوكها نصارى ايضاً يسمّى كل منهم بأونك خان ومعناهُ الملك يوحنّا وقيل انّ الاساقفة النساطرة كانوا يسحونهم ملوكاً وكهنةً معاً ولذلك عرفهم الاوربيّون باسم الكاهن يوحنّا (le prêtre Jean) وكان اوّلهم اونك خان الاوّل الذي تنصّر مع قومهِ. وخلفهُ اونك خان الثاني الذي غزا كاشغار سنة ٤٣٨ هـ (١٠٤٦م) وقام بعده اونك اثالث الذي زاد في ملك اجدادهِ وبلّغ حدود مملكتهِ الى نهر دجلة نحو السنة ١١١٩م. والرابع بهذا الاسم هو الذي غلبهُ على ملكهِ سنة ١٢٠٣ احد عمّالهِ المسمّى تموجين وهو المشهور باسم جنكز خان قال ابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٣٩٤) :

وفيها وهي سنة الف وخمسمائة واربع عشرة ليونان (١٢٠٣م) كان ابتداء دولة المغول وذلك انّ في هذا الزمان كان المتولي على قبائل الترك المشارقة اونك خان وهو المسمّى ملك يوحنا من القبيلة التي يقال لها كريت وهي طائفة تدين بدين النصرانيّة وكان رجل مؤيّد من غير هذه القبيلة يقال لهُ تموجين ملازماً لخدمة اونك خان من سنّ الطفوليّة الى ان بلغ حدّ الرجوليّة وكان ذا بأس في قهر الاعداء فحسدهُ الاقران وسعوا بهِ الى اونك خان وما زالوا ينتابونهُ عنده حتى اضمرَ بتغيّر النيّة وهمّ باعتقالهِ والقبض عليهِ. فانضمّ اليهِ غلامان من خدم اونك خان . . . فكرّ عليهِ تموجين واصحابهُ . . . حتى قتلوهُ وابطالهُ وسبوا ذراريّهُ . . .

والى اونك خان هذا ارسل البابا اسكندر الثالث سنة ١١٧٧ كتاباً رواهُ

---

١) راجع تاريخ ماري بن سليمان والمكتبة الشرقيّة للسمعاني (٤ : ٢٨٠ — ٢٨٢ وكتاب دي كينيي في تاريخ المغول (Deguignes : *Hist. gen. des Huns, des Turcs, des Mongols* III, 13)

المؤرخ بارونيوس في تاريخ هذه السنة . وكان اونك استقبل في بلاطهِ حكيماً اوربيًّا يدعى فيلبُّوس وصف لهُ مقام الاحبار الاعظمين . ورغَّب اليهِ الانضمام الى الكنيسة الرومانيَّة فكتب اونك الى البابا يطلب منهُ ان يرسل اليهِ مرسلين يهتمُّون بامور شعبهِ ويشيِّدون في حاضرة ملكه كنيسة . فلبَّى امام الاحبار دعوتهُ وحضَّهُ على ملازمة الايمان الكاثوليكي

وكان لاونك خان المذكور انسباء يلكرن في جهات الصين . ذكر المرسل الفرنسيسي حنا من جبل كورڤينو (Jean de Monte Corvino) انَّهُ وصل الى الصين واحتلَّ خان بالق وهي مدينة (پاكين) وكان ملكها من اقارب اونك خان يُدعى جرجس وكان نسطوريًّا فدعاهُ الى الكثلكة فاقتنع بها وارتدَّ الى طاعتها مع ابنهِ وثبت عليها الى وفاتهِ سنة ١٢٩٨ فقام اخوتهُ بعد موتهِ واضطهدوا الكاثوليك (١

ولم تنقطع ذريَّة اونك خان النصرانيَّة بعد قتلهِ بل بقيت قبيلة الكريت على دينها يأمرها امراء من نسل اونك المذكور اولهم داود ابنهُ ثمَّ خلفاؤهُ من بعدهِ الى اوائل القرن الرابع عشر كما روى السائح الايطالي الشهير مركو پولو (Marco Paolo) الذي اكَّد انَّ الكريت تُرك نصارى وملكهم على دينهم (٢

واخبر سفير ملك الارمن الى التتر سنة ١٢٤٨ أنَّه اجتمع بملكهم النصراني المدعو كوجوك (Gujuch)

وكان لاونك خان ابنة اخ نصرانيَّة مثلهُ تُدعى سرقوطانا تزوَّجها جنكزخان وبقيت على دينها تغير عليهِ وتنشِّط اهلهُ وكان في خدمتها كثيرٌ من ارباب الدين الَّا انهم نساطرة ويعاقبة وارمن . وهذه سرقوطانا هي امّ منكوخان سلطان التتر

ثمَّ عظم امر جنكزخان وفتح الفتوحات العظيمة وكان مائلًا الى النصرانيَّة يكرم اربابها ويستخدم اصحابها ويتقرَّب من اهلها . ولمَّا فتح بلاد الاويغور النصارى طلب منهُ صاحب الدولة المدعو ايدي قوب (وقيل ايدي قوت) الامان لنفسهِ ورعيَّتهِ والدخول في ذمَّتهِ فاقبل عليهِ جنكزخان واحسن قبولهُ واعادهُ الى بلادهِ

---

١) راجع المكتبة الشرقيَّة للسمعاني Assemani: *Bibl. Or.*, IV, 500-504

٢) ورد ذلك في تاريخ الرهبانيَّة الفرنسيسية لوادنغ (Wadding.) المجلَّد الثالث

مكرّماً (١ واخبر ابن العبري في تاريخه (ص ٤٠١) انّ جنكزخان اراد في اوّل امره ان يعاهد محمّداً سلطان غزنة فارسل الى بلاده وفداً فامر السلطان بقتلهم الّا واحداً منهم هرب وعاد الى جنكزخان فاخبره بامرهم قال ابن العبري :

فعظُم ذلك عند جنكزخان وتأثّر منهُ الى الغاية وهجر النوم وصار يحدّث نفسهُ ويفتكر فيما يفعلهُ وقيل انهُ صعد الى رأس تلّ عال وكشف رأسهُ وتضرّع الى الباري عالى طالباً نصرته على من باداه بالظلم وبقي هناك ثلثة ايام بلياليها صائمًا . وفي الليلة الثالثة رأى في منامهِ راهباً عليهِ السواد ويدهِ عكّازة وهو قائم على بابهِ يقول لهُ : لا تخف افعل ما شئت فانّك مؤيد . فانتبه مذعوراً مسروراً بالفرح وعاد الى منزلهِ وحكى حلمهُ لزوجتهِ وهي ابنة اونك خان فقالت لهُ : هذا زيّ اسقف كان يتردّد الى ابي ويدعو لهُ ويحيّنهُ اليك دليل انتقال السعادة اليك . فسأل جنكزخان من في خدمتهِ من نصارى الايغور : هل هنا احد من الاساقفة . فقيل لهُ عن مار دنحا فلمّا طلبهُ ودخل عليهِ بالبيرون الاسود قال : هذا زيّ من رأيت في منامي لكن شخصهُ ليس ذلك . فقال الاسقف : يكون الخان قد رأى بعض قدّيسينا . ومن ذلك الوقت صار يميل الى النصارى ويحسن الظنّ بهم ويكرمهم

استمرّ خلفاء جنكزخان على اكرامهم للنصارى ودولتهم هي الدولة المغوليّة اخت الدولة التركيّة وكلاهما من عنصر واحد كما مرّ

تولّى الامر بعد جنكزخان ابنهُ اوكتاي (١٢٢٧—١٢٤٨) فورث عن ابيهِ حبّهُ للنصارى . وكان اخوهُ الصغير تولي متقرّناً بامرأة نصرانيّة سرقوتين بيكي ابنة اخي اونك خان . قال ابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٣٣٤) :

« كان لها من الاولاد اربعة بنين مونككا (وهو منكوخان) وقوبلاي وهولاكو واريغ بوكا فاحسنت تربية الاولاد وضبط الاصحاب وكانت لبيبة مؤمنة تدين بدين النصرانيّة وتعظّم محلّ المطارنة والرهبان وتلتمس صلواتهم وبركتهم وفي مثلها قال الشاعر (المتنبّي) :

فلو كان النساء مثل هذه لفُضّلت النساء على الرجال

ولمّا توفي ابنُها تولى امرَ اوقتاي بانّ زوجتهُ المذكورة تتولّى تدبير عساكره لما كان يعهد فيها من حسن السياسة

وخلف اوقتاي ابنهُ كيوك (١٢٤٦ — ١٢٤٨) قال ابن العبريّ في مختصر تاريخ الدول (ص ٤٥٠) :

---

١) راجع مختصر تاريخ الدول (ص ٣٦٦)

وكان بمقام الاتابكية لكيوك خان امير كبير اسمهُ قداق وكان ممجّدًا مؤمنًا بالمسيح وشاركهُ في ذلك امير آخر اسمهُ جينقاي فهذان احسنا النظر الى النصارى وحسّنا يقين كيوك خان ووالدتهِ واهل بيتهِ بالمطارنة والاساقفة والرهابين فصارت الدولة مسيحيّة

وارتفع شأن الطوائف المنتسبة الى هذا المذهب من الفرنج والروس والسريان والارمن. والتزم الخاص والعام من المغول وغيرهم ممّن هم بينهم ان يقولوا في السلام برخمر (ضُمّ ضُمّ) وهو لفظ سرياني مركّب معناهُ (بارِكْ مالكي)

وفي أيّامهِ ارسل الحبر الاعظم اينوشنسيوس الرابع سفيرًا من الرهبان الفرنسيسيين اسمهُ بلان كربين (Plan Carpin) ليدعوهُ الى الايمان وكان شاع في اوربّا انهُ يريد التنصّر فواجههُ السفير لكنّهُ لم ينل منهُ غير المواعيد الباطلة . ثمّ عاد الحبر الاعظم وارسل غيرهم من الرهبان الدومنيكيين كأسلين (Fr. Ascelin) وسمعان (Simon de S. Quentin) واسكندر وألبريك فلم يبلغوا من وفودهم على زعماء التتر غايةً لانّ المغول كانوا يزعمون انهُ يجب على ملوك الغرب مع الحبر الاعظم ان يخضعوا لسلطانهم . وكرّر رئيس الكنيسة مساعيهُ في ارتداد ملوك المغول فارسل الاخ اندراوس الفرنسيسي (Fr. André de Louciumel) الى كيوك فاحتفى بهِ التآآن اي الخاقان واوفد احد قوّادهِ الى رومية يعلن باسم كيوك اكرامهُ لرئيس الكنيسة

وقام في رئاسة التتر بعد كيوك منكوخان (١٢٤٨ — ١٢٥٧) وهو ابن تولي وقد سبق انّ امّهُ كانت نصرانيّة وجرى هو ايضاً في مجاملة النصارى على مثال كيوك وكان في قرب منزلهِ كنيسة للناطرة ويحيط بشخصهِ رهبان منهم ومن الارمن والسريان

وكان من قوّاد منكو باتو خان ابن عمّهِ توشي يأمر على قسم كبير من جيشهِ ولباتو هذا ابنٌ اسمهُ سرتاش او ستّاش هو ايضاً من كبار الدولة ورؤساء الجيش فهذا تنصّر وارسل الى البابا اينوشنسيوس الرابع بصفة سفير كاهنهُ الخاص يوحنّا يُشعرهُ بالامر . فكتب اليهِ الحبر الاعظم كتاباً يهنئهُ بارتدادهِ ويحضّهُ على الثبات في دينهِ وعلى العمل بمقتضى سُننهِ وذلك سنة ١٢٥٤ وهذا الكتاب رواهُ بارونيوس في تاريخ هذه السنة والحقهُ بكتاب ثانٍ وجّههُ البابا الى خان آخر من الاتراك مع احد الرهبان الدومنيكيين يعرض عليهِ الايمان بالمسيح

وكان الصليبيون يجاهدون في ذلك الوقت في فتح الاراضي المقدسة فلما سمعوا بفتوحات المغول ارسلوا اليهم وفوداً ليبرموا معهم المعاهدات ويحالفوهم. ولنا من ذلك رحلة احدهم وهو غليوم دي روبروك (Guillaume de Rubrock) وهو راهب افرنسيسي ارسلهُ القديس لويس التاسع الى المغول اذ كان في بلاد الشام وذلك في تاريخ سنة ١٢٥٣ فوفد هذا على سرتاش ووالدو باتو ورحل الى قراقرم حيث وجد قبيلة تركيَّة نصرانيَّة دعاها هيان ودخل الى منكو خان وقد وصف بالتدقيق كل ما رآهُ في رحلتهِ مع بيان احوال المغول في دينهم ودنياهم وذكر ما وجدهُ بينهم من آثار النصرانيَّة وتأسَّف على كون هذا الدين بين الترك والمغول مشوباً باضاليل النساطرة واليعاقبة وغيرهم. ووجد عند منكوخان صَنَعةً من الفرنج كانوا يعملون لهُ الاثاث والاواني اللطيفة وصف منها اناء كالحوض يملوهُ ملاك اذا نفر في بوقهِ مجَّت عدَّة حيَّات بأشربة مختلفة (انظر الصورة)

وقد سعى ملوك الفرنج مراراً بمحالفة ملوك المغول كما روى ذلك المستشرق الشهير راموزا (Abel Rémusat) في مقالة نشرها في مجموع الكتابات والفنون (١

وتولى امر المغول بعد منكو خان اخواهُ قوبلاي (١٢٥٧—١٢٩٤) وهولاكو (١٢٥٧—١٢٦٥) فملك الاوَّل على الصين والشرق الاقصى اما هولاكو فبسط حكمهُ على جهات الغرب وهو الذي فتح بغداد وقتل آخر خلفائها العبَّاسيين المستعصم بالله ثم فتح حلب وبلاد الشام وبالغ في القتل والسَّلب والدمار. وقد اظهر كلا الملكين حفاوةً بالنصارى فانَّ الرسلين الفرنسيسيين دخلوا في بلاد الصين على عهد قوبلاي وشيَّدوا في خان بالق وهي پاكين كنيسة ونصَّروا كثيرين وبقيت رسالتهم هناك مزهرةً ناجحة نحو مئة سنة وكان احد الرسلين اسقفاً

وكذلك زادت النصرانيَّة نفوذاً بمساعي النساطرة كما تشهد عليهِ ترجمة البطريرك يابالاها والراهب ربَّان صوما (٢ فهذان ولدا في الصين وكان اسم يابالاها مرقس

١) اطلب MÉMOIRES DE L'ACAD. DES INSCRIPT. ET BELLES-LETTRES. Relations politiques entre les princes Chrétiens et les Mongols. T VI et VII

٢) هذه الترجمة من ابدع الآثار القديمة نشرها حضرة الاب بولس بيجان اللازري وترجمها الى الافرنسيَّة الاب شابو J.-B. Chabot : *Histoire du Patriarche Mar Jabalaha et du moine Rabban Çauma*

ولد في كوشتك سنة ١٢٤٥ وولد صوما في خان بالق اي پاكين فتزهبا مدَّة ثمَّ ائتفقا في عهد الملك قوبلاي على السفر الى بلاد الغرب لزيارة اورشليم فبعد الاتعاب والمشقَّات العلوية بلغا الى بلاد الجزيرة ثمَّ توفي بطريرك النساطرة دخا فوقع الاختيار على مرقس الصيني ليخلفهُ فتسمَّى يابالاها. امَّا صوما فواصل سفرهُ ودخل على خان التتر ارغون الوارد ذكرهُ الذي ارسلهُ كسفير الى البابا والى ملوك اوربَّة لمحالفتهم فرحل صوما الى رومية ودخل على البابا غريغوريوس العاشر وحاشية بلاطهِ وشهد امامهم بانتشار النصرانيَّة بين الصينيين والمغول والاتراك ومما قالهُ ما تعريبهُ موجهاً كلامهُ الى البابا والكرادلة

اعلموا ايها السادة انَّ كثيرين من آبائنا دخلوا في اقطار المغول والترك والصينيين وعلَّموهم الايمان. واليوم كثيرون من المغول يدينون بالنصرانيَّة وبينهم خواتين (ملكات) واولاد ملوك قد اصطبغوا بالمعموديَّة. وفي منازلهم الكنائس يعبد وكنائس. ويكرمون النصارى اكراماً جزيلاً. وقد ارسلني البطريرك يابالاها وارغون خان اليكم ليبتَّ عهداً معكم ويستولي على مدينة اورشليم. . .

ثمَّ رحل صوما الى فرنسة ودخل على فيليبس الرابع (Philippe le Bel) ثم ذهب الى انكلترة وواجه ملكها ادورد الاوَّل ثمَّ عاد الى رومية سنة ١٢٨٨ فاستقبلهُ البابا نيقولا الرابع خلف غريغوريوس واعادهُ مكرَّماً الى ارغون

وكما كان قوبلاي يعزّ النصارى في مملكة الصين كان اخوهُ هولاكو يبالغ في اكرامهم في جهات الغرب. وكانت امّ قوبلاي وهولاكو تُدعى دوقوز وقد اشتهرت بفضلها وتقاها وحسن تدبيرها فاطرأ عليها كل المؤرخين. قال ابن العبري في تاريخ مختصر الدول (ص ٤٦١): «ومن الخواتين الكبار دوقوز خاتون المؤمنة المسيحيَّة»

ومما تشهد عليهِ التواريخ انَّ هولاكو لم يكن فقط مراعياً للنصارى بل كان نصرانياً ايضاً لنا على ذلك دليلان الاوَّل كتاب البابا اسكندر الرابع اليهِ سنة ١٢٦٠ نشرهُ بارونيوس في تاريخ هذه السنة وفيهِ يهنّئ الخان الاعظم هولاكو على ما بشَّره بهِ من رغبتهِ في التنصُّر بواسطة احد سفرائهِ الذي قدم الى رومية ليبدي الخضوع لنائب المسيح باسم سيدهِ. والثاني ما رواهُ هيتون المؤرخ الارمني الشهير في الفصل ٣٢ من تاريخهِ الشرقي حيث صرَّح بمعموديَّة هولاكو ونصرانيَّتهِ

وخلف هولاغو ابنهُ أباقا ايلخان (١٢٦٥ — ١٢٨٢) فصرف أيام ملكه في الحروب كاسلافه وقد دان بالنصرانيّة كأبيه هولاكو. وكانت زوجتهُ مريم ابنة ملك الروم. وفي سنة ١٢٦٧ ارسل لباقا كتاباً الى اقليمس الرابع يُعلن بخضوعه للكرسي الرسولي ويطلب محالفة الفرنج ضدّ ملوك مصر . فاجابهُ البابا برسالة لطيفة دوّنها باروثيوس في تاريخه. ولمّا كانت السنة ١٢٧٤ عقد الحبر الاعظم في ليون مجمعاً عموميًّا حضرهُ رُسُل ملك الروم وبطاركة الشرق. وكان بين الحضور وفدٌ من ملك المغول اباقا في عدد ١٦ رجلًا قدموا ليتّفقوا مع آباء المجمع على محاربة المصريين. وقد اخبر ابن العبري في تاريخه مختصر الدول (ص ٥٠٥) انّ اباقا ايلخان توجّه سنة ٦٨١ (١٢٨٢م) الى بغداد ومنها الى همذان (قال) : «وفي يوم عيد النصارى الكبير لتلك السنة دخل الى البيعة في تلك المدينة وعيّد مع النصارى » . وكانت وفاته في تلك السنة

وممّن اشتهروا في أيامه امير مغولي يُدعى يشموت كان عريقاً في الدين النصرانيّ واصلهُ من قبيلة الاويغور النصرانيّة فولّاهُ اباقا على الموصل فأحسن التدبير كما روى عنهُ صاحب ترجمة يابالاها (ed. Chabot. 47) . ومن ملوك المغول الذين تقرّبوا من النصارى واكرموا دينهم الملك ارغون (١٢٨٤—١٢٩١ م) فهذا لم يتولّ الملك بعد ابيه بل ملك اخوهُ تاغودار الذي أسلم وتسمّى بالسلطان احمد فاخذ يضطهد النصارى فاستصفى اموال البعض وقتل البعض واخرب الكنائس واراد ان يقتل البطريرك يابالاها بل عزم على اغتيال اخيه ارغون ليليه الى النصارى فهرب منهُ ارغون وتمكّن من تجنيد العساكر واستولى على الامر بعد انتصاره على اخيه وضاعف حبّهُ نحو المسيحيين وشيّد لهم الكنائس واعدّ لهم كنيسةً نقّالة اهداهُ اياها الحبر الاعظم نقولا الرابع فجعلها بجوار خيمته الملكيّة ودشّنها لهُ البطريرك يابالاها وعدد لا يحصى من الاساقفة والرهبان والكهنة . وكان الملك اذا نقل مضربهُ من مكان الى آخر تنقل الكنيسة ايضاً. ولمّا ولد لارغون ابن عمّده احمد سفراء البابا وهو خربندا المسمّى بالعباد تاودوسيوس كما روى المؤرخ الارمني اسطفان اوربليان (١

ومن الآثار المنبئة بحبّ ارغون للنصارى رسالة كتبها للبابا اونوريوس الرابع سنة ١٢٨٥ فنشرها المؤرخ باروتيوس وفيها من عبارات الولاء والحب والتعظيم للحبر

١) سيرة يابالاها (ed. Chabot.) 94. 258

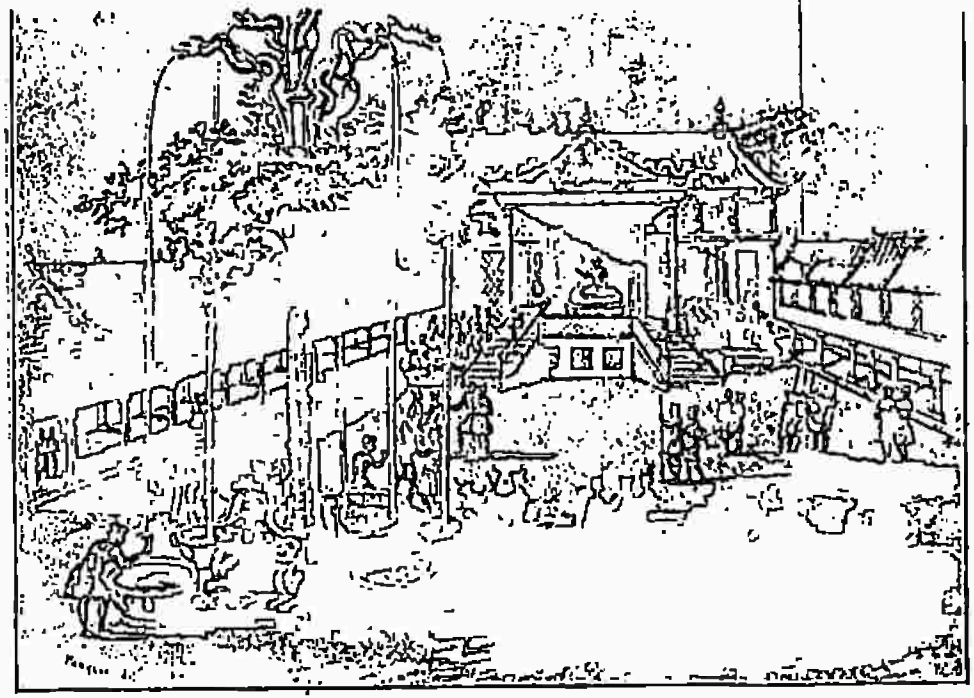

بلاط منكوخان في قراقرم وعن شماله صورة الاناء ذات الاشربة المختلفة
تمجها حيّات نحاسيّة عند نفخ الملاك بالبوق

الاعظم ما يحيطها من اجلّ الآثار . ثمَّ كتب ارغون رسالات اخرى للحبر الاعظم منها الرسالة التي نقلها ربّان صومـا . وفيها يعدّد مآثر حبّه للنصارى ويذكر امَّهُ النصرانيَّة توكتان (ويروى توكدان خاتون)

وقد اجاب الحبر الاعظم نقولا الرابع على هذه الرسائل ولا تزال براءاتهُ في سجلّات الكرسي الرسولي نشرها الاب شابو بينها اربع مكاتيب لارغون خان ومكتوب للبطريرك يابالاها ومكتوب لوالدة ارغون وابنتهِ اغاج مع مكاتيب أخرى لابنـاء ارغون ولبعض عمّالهِ النصارى وذلك من السنة ١٢٨٨ الى ١٢٩١

وسار ولدا ارغون وهما قازان واولجيتو على مثال والدهما في حب النصارى . ولا سيما اولجيتو وهو الذي قلنا انَّهُ تعمَّد وكان اسمهُ خربندا ولمَّا صار ملكاً دُعي اولجيتو وكانت وفاتهُ سنة ١٣١٢ في اوَّل كهولتهِ وعمرهُ ٣٦ سنة

ومذ ذاك الحين انقطعت العلاقات بين ملوك الغرب وملوك المغول وضعفت قوَّة المغول في الشرق فتقسَّمت دولتهم الى عدَّة امارات غلب عليها دين الاسلام كما انَّ دولة المُنسغ الوطنيَّة في الصين غلبت المغول في اواسط القرن الرابع عشر وانقطعت النصرانيَّة في الصين الى ان اعادها الاب ركشي اليسوعي (المشرق ١٣ : ٧٠١و١١٣)

ومن الدول التركيَّة التي دانت مدَّةً بالنصرانيَّة في ايام المغول الدولة السلجوقيَّة . كان اصحابُهـا يدينون اوَّلا بالسُّنيَّة فلمَّا سكنوا ما وراء النهر دانوا بالنصرانيَّة التي دعاها اليهم النساطرة وكان السلجوقيُّون من اقارب الكريت والنَّيمان النصارى وفي ايام بعض ملوكهم الاوَّلين دليل على نصرانيَّتهم كميكائيل وداود ويونس (١

على انَّ الآثار النصرانيَّة الباقية منهم قليلة جدًّا . وهؤلاء السلجوقيُّون انشأوا لهم بعد ذلك دولًا شتَّى فملك بعضهم في العراق وبعضهم في الشام وبعضهم في خوارزم وكرمان وملك غيرهم في الروم وكانت حاضرتهم قونية منهم عزّ الدين كيكاوس فهذا ملك مرَّتين من ١٢١٠ الى ١٢١٩ ثم من ١٢٤٥ الى ١٢٥٧ وكان يحبّ النصارى ويدرس كتبهم المقدَّسة ويجلّ ايمانهم فارسل وفدًا الى البابا غريغوريوس التاسع يطلب منهُ قاصدًا رسوليًّا يشرح لهُ العقائد المسيحيَّة فاجاب البابا اسكندر الرابع خلف

١) اطلب كاهون Cahun : *Introd. à l'Hist. de l'Asie*, p. 41, 179

بريدوريوس الى ملتمس سلطان قونية وكتب لهُ رسالةً جميلة يثني فيها على همّتهِ ويلتمس لهُ المعتقدات النصرانيَّة وهذه الرسالة رواها بارونيوس المؤرخ في اخبار سنة ١٢٥٣. ومن الامم التي كانت تحت حكم السلجوقيين في بلاد الروم الجركس وكانوا يدينون بالنصرانيَّة. قال ابو الفداء في تاريخهِ (ج١ص ٩٧ من طبعة الاستانة) في ذكرِ الامم المتنصِّرة: « ومنها الجركس وهم على بحر نيطش من شرقيهِ وهم في شظف من العيش والغالب عليهم دين النصارى »

ومما افادنا علماً عن النصرانيَّة في تركستان ما اكتشفهُ السيَّاح الاوربيُّون في هذه الحقب الاخيرة. فمن ذلك اثار مدن وابنية شيَّدها نصارى الاتراك في تركستان الروسية وبلاد المغول منها مدينة تشتركول موقعها جنوبي بحيرة بلكش بين بسيك وطقماق. وكانت تلك الناحية كلّها عامرة واهلها من نصارى الاتراك من الشيعة النسطورية يرتزقون بالفلاحة فشيَّدوا تلك المدينة وحصَّنوها بقلعة حريزة لا تزال اسوارها ماثلة مرتفعة يرتقي عهدها على الارجح الى القرن التاسع او العاشر. ومن عجيب هندستها انَّها كانت مبنيَّة على شكل صليب واسسها يدلّ على ذلك (١. وقد وجدوا هناك مقبرتين كبيرتين وعدَّة كتابات سريانيَّة ويونانيَّة مع صلبان فوقها. وقد بلغ مجموع الكتابات السريانيَّة وحدها نحو خمسة آلاف يتراوح زمانها بين القرن الثالث عشر الى الخامس عشر من السنة ١٢٤٩ الى ١٤٠٦ واكثرها لا تاريخ لها الَّا ٦٠٠ منها وعلى كلّ حجر اسم الميت مع بعض افادات عن شخصهِ ورتبتهِ حول الصليب المرسوم على الحجر. وبين هذه الاسماء عدَّة اعلام نصرانيَّة وبينها اعلام تركيَّة مع رواية تاريخ الاتراك ما يدلّ على انَّ هؤلاء المتنصِّرين كانوا من قبائل التُرك وليسوا باجانب والكتابات بالقلم الاسطرنجيّ نشرت منها امثلة نقلناها عن مجلَّة الشرق المسيحيّ (اطلب الصورة) (٢

ثمَّ وجدوا في جهات طرفان خزائن اوراق ودفاتر وكتب شتى مكتوبة على جلد او على قشور اشجار في عدَّة لغات منها صينيَّة ومنها سريانيَّة بينها اثار نصرانيَّة

١) راجع كتاب البعثات العلميَّة الجديدة: NOUVELLES ARCHIVES SCIENT. ET LITTÉRAIRES 1909, Mission dans l'Asie centrale et la Sibérie par *M. J. Chaffanjon*, pp. 55-101.

٢) اخذنا هذه المعلومات عن مجلَّة اصداء الشرق (Echos d'Orient, 1911, pp. 278-286)

كصلوات وطقوس وقطع من الكتب المقدَّسة فأيَّدت هذه الاكتشافات ما قلناهُ عن انتشار النصرانيَّة في تلك البلاد

وهنا لا بُدَّ من ذكر اثر آخر لطيف يدلّ على انتشار النصرانية بين احدى قبائل الترك في اوائل القرن الرابع عشر نزيد بها قبيلة الكومان التي كانت في جهات بحر الخزر والبحر الاسود ثمَّ تقدَّمت في القرن الحادي عشر الى جهات المجر والفلاخ فدخل بينهم المرسلون اللاتين من الفرنسيسكان والدومنيكان وبشَّروهم بالانجيل وعمَّدوا منهم مرَّةً واحدة خمسة عشر الفاً وكان لهم اسقف يُدعى ثاردوريك (١

اما الاثر المذكور فهو كتاب قطعهُ الربع يتركَّب من ١٦٤ صفحة تاريخهُ سنة ١٣٠٣ يخصّ مكتبة كنيسة مار مرقس في البندقيَّة (١ وهذا الكتاب مكتوب بالقلم الفرنجيّ وهو لفائدة المرسلين اللاتين بين قبائل الكومان التركيَّة يبتدئ بهذه الالفاظ « لمجد الله واكرام الطوباوي يرحنا الانجيليّ وهو يحتوي على معجم في ثلاث لغات في لغة الكومان وهي التركيَّة القديمة وفي الفارسيَّة واللاتينيَّة ثمَّ يلي المعجم تعابير شتى باللغة الكومانيَّة واللغة الالمانيَّة وفي القسم الثاني من الكتاب جمل الصلوات النصرانيَّة وادعيتها وتسابيحها وطقوسها العيديَّة كما هي جارية في الكنيسة اللاتينيَّة وكلّ ذلك في اللغة الكومانيَّة اي التركيَّة القديمة ما يدلُّ صريحاً على انَّ الكتاب كان لخدمة نصارى تلك الجهات . وهذا الكتاب قد طُبع طبعةً متقنة في عصرنا سنة ١٨٨٠ في بوادبست بهمَّة الكُنت جيزا كوون (Géza Kuun) وهو يُعرف بالمصحف الكومانيّ (Codex Cumanicus) وها نحن نورد هنا منهُ الصلاة الربيَّة بحرفها الاصلي اللاتينيّ ثم نتبعها بالصلاة عينها بالحرف العربي ونقابلها مع الصلاة التي تُتلى اليوم بين النصارى بالتركيَّة :

Atamis kim kœkté sén. Sentléssen adin. Algizle bulsun sening hanlechin. Bulsun sening tilémégin nezikkim kœkté alley ierda. Kundégi œtmackimisni bisga bougun bergil. Dage iazuclarmisme bisgœ bozzatkil. Netsik bisbozzatirbis bisgœ iaman etchenlergœ. Dage iéknik sinamakina bisni kuurmagil, bassa bartse iamandan bisni kuthargil. Amen.

١) راجع مجلَّة الشرق المسيحي ROC ; 1913, pp. 1-36

الصلاة الربية في التركية الحالية

گوگلرده کی بابامز آدمڭ تقديس اولنسون . ملکوتڭ گلسين . ارادهڭ نه کيم گوگده . بويله ده زمين اوزرنده اولسون . اکمکزی بوگونکی کنافز ايچون ويريزه . ويزم گناهلرمزی بزه عفو ايت نته کيم بزدخی بزم حقمزده اساءت ايدنلره باغشلادق . واغوايه بزی گيردرمه انجق کوتولکدن بزی قورتار آمين

الصلاة الربية في التركية القديمة

اتامز کيم گوگده سن سنلسن ادڭ التولی بولسون سنڭ هنلئن . بولسون سنڭ تاڭگڭ ترك کيم گوگده علی يرده . گنده گی اکمکزنی بزگه بوگون برگل . دخی يازغلر مزی بزگه بوزتکل تنسك بزڭ بوزترسز بز يمان اچنلرغه دخی بکنيك بنا بکينا جل سنا بزنه کودبرچه يماندن بنه کوترجل آمين

فترى ممّا سبق انّ الاتراك والمغول عرفوا قديماً النصرانيّة وجنوا اثارها الخلاصيّة ولولا الحروب وانقلاب الدول في القرن الرابع عشر والخامس عشر للميلاد لمّا انقطعت النصرانيّة بينهم . بل لدينا عدّة آثار تنبئ بتنصّر كثيرين من المغول والاتراك واستشهاد بعض رجالهم لاجل الايمان بعد تولي بني عثمان على الممالك الاسلاميّة لكنّ ذلك يستدعي بحثاً خاصاً نؤجّلهُ لفرصة اخرى ان شاء الله

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيّة في لغة عرب الجاهليّة (تابع)

٧ مفردات نصارى الجاهليّة الخاصّة بمساكن الرهبان

قد توفّرت المفردات العربيّة التي ورد ذكرها في المعاجم والشعر القديم دلالةً على